

## البعد التداولي للغة في تحليل الخطاب

*The deliberative dimension of language in discourse analysis*

د. بومسحة العربي

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الوشرسي

تيسمسيلت-

الجزائر

larbiaflah0@gmail.com

## الملخص:

التداولية التي يتم فيها افتتاح اللغة على ضوابط ترتبط بأغراض المتكلمين ومقاصدهم تجلت في أعمال: أوستين، وسيرل، وفان دايك... وغيرهم؛ حيث ارتبطت نظرتهم للغة بالمقام، الذي يولي أهمية بالغة للنظام التواصلية أين تستمد اللغة وظيفتها من رصد العلاقات القائمة بينها وبين متداوليها انطلاقا من الظروف المقامية المحيطة بإنتاج المعنى.

وإن اللغة الواصفة في الخطاب تشكل محطة مركزية تؤسس لنا نشاطا بجميع أشكاله ومضامينه للمجموعة اللسانية المرتبطة بالسياقات والطبقات المقامية المختلفة، والقصدية من توظيفها في الخطاب بصورة عامة تتجلى في إنتاج الخطابات وتأويله وتفسير ظروف إنتاجه.

ومحلل الخطاب يهتم بالجانب الاستعمالي للغة حتى يعطي الأولوية لها في الوظيفة التواصلية لنجاح الخطاب.

الكلمات المفتاحية: التداولية، اللغة، القصدية، المتكلم، المخاطب، تحليل الخطاب، السياق.

**Abstract :**

*Pragmatics theory in which language is opened at the controls related to the purposes of the speakers and their intentions manifested in the works of Austin, Searle, and Van Dijk... and others; Where their perception of the language were associated with context , which gave great importance to the communicative system Where the function of language is derived from monitoring the existing relations between language and its users proceeding from the contextual circumstances surrounding the production of meaning.*

*The language of speech is a central station that establishes an activity in all its forms and implications for the linguistic group associated with different contexts and classes. The purpose of the discourse in general discourse is to produce letters, interpret them and interpret the conditions of their production.*

**Key words:** Pragmatics – language – Intentionality – Speaker – Receiver – Discourse analysis – Context .

## تمهيد:

فكثير ممن كتب فيه و نعتة بالضبابية واللبس، ومرد ذلك إلى تعدد مشاريعه ومصادره و لكل مفهوم من مفاهيمه المركزية حقل معرفي اثبت منه؛ ولاسيما أنّ هذا العلم، اقتحم مجالات العلوم

الدرس التداولي درس واسع وتر، يشكل حلقة متقدمة في تاريخية الخطاب اللساني المعاصر، ولكته درس متداخل الطروحات ومعقد المفاهيم والمبادئ والإجراءات والتصورات،

التداولية منبج لتحليل الخطاب ؟ وما وظيفة البعد التداولي في دراسة اللغة الواصفة في تحليل الخطاب ؟

إن مفهوم التداولية في الثقافة اللغوية، لم يتم استعالمه، من حيث المعنى العام في الثقافة « اللاتينية قبل سنة 1438م في أصله إلى اللغتين الإغريقية *Pragmatikōs*، واللاتينية بالمعنى القانوني *Pragmatika*، ولذا المصطلح في الثقافة الغربية عدة استعمالات: قانونية، وهو الاستعمال الأصل، ثم فلسفية، ومنطقية، ورياضياتية، ثم أخيراً لسانياتية (دلالية)، وبلاغية (سياقية)، وسيائية (تأويلية)»<sup>(4)</sup>.

ومن بين المقابلات الترجيحية للتداولية إلى الثقافة اللغوية العربية، نذكر ترجمة (طه عبد الرحمن) الواردة في قوله: « وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح "التداوليات" مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيقاً" لأنه يوفي المطلوب حقّه، باعتبار دلالاته على معني "الاستعمال" و "التفاعل" معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن التارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم »<sup>(5)</sup>.

وفي موضع آخر، ألفيناه واصفا الفعل "دول" (\*) بالتحول من حال المتكلم إلى حال أخرى لدى المتلقي؛ حيث تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه بينهم، ومن المعروف أيضا أنّ مفهوم النقل والتوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال: "نقل الكلام عن قائله" بمعنى رواه عنه، ويقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها...، فالنقل والتوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين...، فيكون التداول جامعا بين اثنين هما: التواصل والتفاعل، فمقتضى التداول إذن أن يكون القول موصولا بالفعل<sup>(6)</sup>.

ووجد آخر لا يقلّ عن سابقه، ارتسمت معالمه في دراسات (أحمد المتوكل) الوظيفية؛ حيث دافع في مشروعه على أنّ العلوم اللغوية العربية القديمة انبنت على أسس معرفية، وأنّ القدماء درسوا اللغة انطلاقا من نصوص، وليس من جمل صورية مجردة منفردة، الأمر الذي جعلهم رابطين بنية اللغة معجما وصرفا وتركيبا بوظيفة التواصل.

وهو بذلك، وصف الإنتاج اللغوي العربي القديم في مجموعه: نحوا وبلاغة وأصولا وتفسيرا... يحتكم إلى مبادئ وظيفية<sup>(7)</sup>، تنطلق في مجملها من معنى التواصل المؤسس على «تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولاً موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية، وذلك تبعا

الاجتماعية والقانونية وعلوم الاتصال والمنطق والأنثروبولوجيا وغيرها.

ومفهوم التداولية تجاذبته الكثير من المصادر المعرفية المختلفة، فهي « تقاطع لمصادر أفكار وتأمّلات مختلفة يصعب حصرها »<sup>(1)</sup>، نظرا لما اكتشفه من ملاسبات تاريخية عسّرت من ظهوره ونشأته، ويخطى ويئدة ضابطة التّموقع داخل المنظومة اللسانية بتأسيسها نظرية ذات مرجعيات فكرية في مقارنة الخطاب بمختلف أبعاده وأدواته الإجرائية ضمن جهاز مفاهيمي داخل شبكة التواصل.

زيادة إلى كل هذا التعسير، كان « من نتيجة هذا التداخل، واتساع مجالات التداولية وتنوعها أصبح من العسير وضع تعريف لها جامع مانع، وقد استطاع عدد من الباحثين أن يقدموا تعريفات كثيرة للتداولية ليس منها تعريف سلم من المآخذ عليه، وقد يناقض بعضها بعضا »<sup>(2)</sup>، وهذا التداخل في شمولية التعريفات يسعى إلى رصد آليات أصول هذا العلم، و لذلك انماز بالترّاء والتشعب الذي استهدف كافة المجالات المعرفية.

فلربما، يعزى تعدد و تشعب وعسر ضبط مفاهيم وتعريفات التداولية إلى أن لها ارتباطات وثيقة بعلاقة العلامة اللسانية بمنهجها ومستقبلها، وسياق إنتاجها و تلقيها، فهي تعرف انطلاقا من الاستعمالات داخل منظومة سياقية تخاطبية. وفي هذا السياق، أدرج (محمود أحمد نحلة) ثلاثة عوامل رئيسة ساهمت بحظ وافر في ضبابية مصطلح التداولية، والتي يصعب معها وضع تعريف شامل جامع مانع لها.

نجمل ذكرها في العوامل الآتية<sup>(3)</sup>:

لم تكن نشأة التداولية لسانية بحتة، بل كان للفلسفة الدور البارز في ذلك، كغيرها من المصطلحات التي نشأت في أحضان الفلسفة، ثم ما فتئت أن شاعت في الدراسات اللسانية نحو: السيميائية التي نشأت على يد الفيلسوف الأمريكي (بيرس *Charles Sanders Peirce*).

أ- لم تكن التداولية فرعا من فروع ومستويات التحليل اللساني المعروفة.

ب- إنها قد لا تنضوي تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة، على الرّغم من تداخلها مع هذه العلوم في بعض جوانب الدراسة.

في ضوء ما تقدم، سنحاول الوقوف عند إشكالية تنطلق من كون التداولية آلية إجرائية في تحليل الخطاب تفتح على جملة من التساؤلات نحو: ما منطلقات التداولية الفكرية والفلسفية؟ وما علاقة التداولية بتحليل الخطاب؟ وهل

و مادامت اللغة تمثل الملكة التي يستعملها البشر للتفاهم فيما بينهم، فهي تعدّ نظاما تواصليا تبليغيا على نحو ما ذهب إليه (أندري مارتيني *André Martinet*) كونها تصنّف ضمن منظومة المؤسّسات الإنسانية الناشئة في المجتمع قصد بناء عملية الاتصال بين أفرادها، ولذا التداولية تدرس اللغة انطلاقا من زوايا متصلة بجهات الحياة الإنسانية المجسّدة في وصف العلاقات بين اللغة ومستعملها<sup>(12)</sup>.

في ضوء ما تقدم، لقد تقاطعت التداولية مع الكثير من العلوم اللغوية المرتبطة أساسا بعلوم الإنسان ذات الصلة باللغة تقاطعا معرفيا ومنهجيا.

وهذا الامتزاج صفة إيجابية، لأنّ المعارف عندما تتقاطع تتخصّب وتغنى، فيحصل التعاون والتكامل بينهما، فهي ملتقى الأبحاث اللسانية والفلسفية والاجتماعية باعتبارها علما تواصليا جديدا يتيح العديد من الطّاقات التعبيرية في خطاباتنا المعاصرة قصد توصيل المعنى إلى المتلقّي هادفا تفعيل اللغة عبر التخاطب على الرّغم مما يكتنفه من ملامسات تأصيله، فقد أمكن تعيين مجموعة من العلوم اللغوية التي هي محل اهتماماته ومجالات تخصصاته.

ما يعرّز هذا التقاطع، ما رأته (أرمينكو *Françoise Armengaud*) في كون التداولية مفترق طرق غنية لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين، الفلاسفة، السيكلوجيين، والتوسولوجيين، وعلماء الاتصال، فنظام التقاطعات هو نظام للتداخل وللتباين<sup>(13)</sup>.

وانطلاقا من هذه المعطيات، فإنّ التداولية تمصّلت بكثير من العلوم، لتغذي بدورها علوما أخرى التي لها علاقة باللغة نحو: علم الدلالة، الذي سيشاركها في دراسة المعنى، و علم اللغة الاجتماعي الذي تتقاطع معه في تبيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين في الكلام وموضوعه و منزلة كل منها، وعلم النفس اللغوي الذي يشاركها في الاهتمام بقدرات المتخاطبين المؤثرة في أدائهم، وتحليل الخطاب الذي يقاطعها في الاهتمام بتحليل الحوار، وطريقة توزيع المعلومات الإخبارية في جمل و نصوص.

كلّ هذا التقاطع، جعل مفهوم التداولية يكتنفه الكثير من الغموض، فهي على مستوى التحليل، لا يمكن تصنيفها في أي من المستويات ولا تدرس جانبا محدّدا في اللغة بل تستوعبها جميعا.

وفي هذا السياق، إن ريادة (هاريس *Zellig Harris*) (1952) في هذا المجال من خلال بحثه الموسوم بـ

لمودج المفوظ الذي أصدره المتكلم<sup>(8)</sup>، وبهذه الوظيفة التواصلية، تتجلّى المنفعة المشتركة بين المتكلم والمخاطب المؤدّية إلى نجاح الخطابات.

انصاع اهتمام الدارسين إلى حقل التداوليات بسبب عجز حصول المناهج الشكلية في مقارنة اللغة، لأنّها أقصت الجانب الفعلي فيها المتمثل في الكلام، وهو الجانب الذي يمثل بؤرة العملية التواصلية، فصارت اللغة ظاهرة تجريدية سواء عند (تشومسكي *Noam Chomsky*) أو (دي سوسير *Ferdinand de Saussure*)، فعّدّت الخطابات بنات مغلقة مجرّدة من سياقاتها، وظروف إنتاجها، باعتبارها محمّة بدراسة علاقة العلامات بمفترمها<sup>(9)</sup>.

وعلى هذا الأساس، نكاد نجزم بأن لا ثمرة للمفوضات وهي بعيدة عن السياق الموجه من لدن المتكلم، ومن خلال الظروف المحيطة بزمان ومكان التخاطب كي تتضح مقاصد ونوايا المتكلم من المعاني المطلوب إيصالها إلى المتلقّي. وأما عن تاريخية ارتباط هذا الاتجاه باللسانيات فيعزى إلى اللغة، حيث كانت « اللسانيات حتى الجيل الذي تلا بلومفيلد تهتم بالفوناتيك، والفلولوجيا، وتهتم على استحياء بالقوانين المرفوفونيمية<sup>(\*\*\*)</sup>، وتغير هذا بالاهتمام بعد ظهور تشومسكي فقد جعل التركيب *syntax*، وهو مركز البحث اللساني<sup>(10)</sup>؛ لأنّ اللسانيات تدرس اللغة كنظام خارج سياق المتكلم مركّزة على اللغة ذاتها محمّة بدراسة اللغات الإنسانية مبرزة خصائصها وتراكيبها ودرجات التشابه والتباين فيما بينها؛ على اعتبار أنّ كلّ لغة لها منطقتها وجمهازها المفاهيمي الذي يضبط خصائصها وعناصرها وبنيتها ومستوياتها، وعندما تتخذ اللسانيات من اللسان موضوعا لها، فإنّها تدرسه دراسة موضوعية، ووصفية، وتاريخية، ومقارنة.

أما التداولية، فهتم بدراسة المعاني التي تتحدّد في مواقف ومقامات معيّنة، وهي بذلك تدرس اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنّها تشير إلى أنّ المعاني ليست أمرا متصلا لا بالألفاظ، ولا بالمتكلم، ولا بالمتلقّي وإنّما تتحدّد في تداول اللغة بين المتكلم والمتلقّي و السياق معا وصولا إلى المعنى الحاصل.

ويبقى الموضوع المشترك بينهما هو اللغة هذا الأمر الذي جعل (رودولف كارناب *Rudolf Carnap*) واصفا التداولية بأنها « قاعدة اللسانيات، أو أساسها المتين الذي تستند إليه »<sup>(11)</sup>، وهذا الوصف يجعلنا إلى أنّ التداولية تحلّل البنات اللغوية لتجعلها في واقع تخاطبي تواصلية.

بهذا الوصف، تعد لغة النص الأدبي بما تنضوي عليه من هذه الشبكة اللسانية بصورة عامة غير مجردة من سياقات التخاطب التداولي المتفاعل في بنائه وتشكيله أطراف ثلاثة، وهي: منتج الخطاب الذي قد يكون كاتباً أو مؤلفاً أو سارداً أو متكلماً، والمتلقي الذي قد يكون شخصاً مخاطباً، كأن يكون قارئاً أو متلقياً أو مستقبلاً أو شخصية مقابلة للذات المتكلمة. والعنصر الأخير الذي يتجسد في الخطاب ك موضوع مرتبط بالسياق أو المقام قصد الإيصال والتبليغ.

ولكي يحصل ذلك، لابد من حضور هذه العناصر المهمة - السالفة الذكر - حتى تكتمل عملية التخاطب، وخاصة في النصوص باعتبارها جملاً وملفوظات لغوية تحوي وتزخر على مجموعة غير متناهية من المقاصد المباشرة والضمنية التي يعبر عنها المنتج أو المتلقي أو هما معاً؛ لأن نجاح الفعل التخاطبي مشروط بالانسجام والتفاعل فيما بينهما مع تكيف اللغة الفعلية لهذه العناصر قصد إخراجها من حيز النظام اللغوي إلى الواقع الخطابي المتجلي في الاستعمال<sup>(17)</sup>.

كل هذه التصورات، جعلت من (طه عبد الرحمن) يربط حقيقة الكلام بقصدية تداولية حجاجية في قوله: « فلا يكون المنطوق به كلاماً حقاً حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير، وما لم تحصل منه هذه الإرادة، فلا يمكن أن يعد متكلماً حقاً لو صادف ما لفظ به فيها من التقطه، لأن المتقط لا يكون مستمعاً حقاً حتى يكون قد أفهم ما فهم، سواء أ وافق الإفهام الفهم أم خالفه، أو قلّ حتى يدرك رتبة "الفاهم"، فالفاهم هو عبارة عن المتقط الذي قصده المفهم بفعل إفهامه»<sup>(18)</sup>، لأن اشتراط وجوب تدايت مرتبط بالتوجيه والإفهام ما بين الذات المنتجة للخطابات و الذات المتلقيه لها بنية الوصول إلى مقاصد المتكلم من خلال هذه الشبكة اللسانية التي يستعملها في سياق معين مع إدراك المعاني المستهدفة من قبل منتج هذه الشبكة.

وهنا تكون اللغة الواصفة في حالة توظيف واستعمال، تماز بصفة الخطابية، لأن وجود خطاب ملفوظ، يعد بؤرة للخطاب المكتوب. والخطاب الملفوظ يشكل موضوعاً في حد ذاته، بهما تتحقق استراتيجية التفاعل والتواصل لتحقيق الإقناع باللغة الحجاجية.

ومن جانب آخر، إن اللغة بسلطة وقوة نظامها الثابت خارج إطار منظومة الخطاب تتحول إلى لغة مختزقة على الدوام وباستمرار أثناء خطابتها الموجهة من قبل منتج الخطاب بنية الطلب أو الرفض أو الاحتجاج<sup>(19)</sup>؛ لذلك فإن هذا الاختراق الذي يطرأ على هذه اللغة الواصفة، كان يرتبط بالأساس

"تحليل الخطاب"، إته أول لساني (أمريكي) حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب.

والذي يسمه بمجموعة من المتواليات تربطها علاقات معيّنة خاضعة لجملة من القواعد تنظم بموجبها الجمل فيه، على خلاف ما ذهب إليه (إميل بنفنيست *Émile Benveniste*)، إذ يرى في الخطاب هو ككل مقول يفترض متكلماً و مستمعاً، تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما، حيث أعطى الأولوية للوظيفة التواصلية للغة، فأدخل مفهوم التلطف (*Enonciation*)، وهو الفعل الحيوي في إنتاج نص ما، وهو مقابل للملفوظ (*Enonce*) باعتباره الموضوع الذي انتهى من إنجازها فاستقل عن الذات المنجزة، وبالتالي فموضوع الدراسة عنده هو التلطف وليس الملفوظ<sup>(14)</sup>، لأن حيوية اللغة و حركيتها أو تداولها بين المتخاطبين هي التي تضمن لها الأفعال التأثيرية التواصلية و التي تظهر في القوة الإنجازية في للملفوظات اللسانية من خلال ما ينتجه المتكلم من خطابات داخل منظومة السياق بصورة عامة.

ومصطلح تحليل الخطاب "*Analyse du discours*" بوصفه عنواناً شاملاً لمجالات واسعة من الأنشطة: التداولية، والسميائية، والأدبية، والتقنية والاجتماعية، والتقسية، والأسلوبية ... وغيرها، فهو منظومة متسقة من الإجراءات المنهجية، يمكن رد منطلقاته إلى ازدهار اتجاهين كبيرين هما:

أ- الاتجاه اللغوي في تحليل النصوص، إذ بدأ الاهتمام ببحث علاقات النص على مستوى داخلي يتجاوز الجملة الواحدة، قد مارسه التقاد اللغويون الأمريكيون تحديداً.

الاتجاه البنيوي الذي تمثل في تحليلات وإجراءات المدرسة الفلكلورية الروسية بعد (بروب *Vladimir Yakovlevich Propp*) ذلك فضلاً عن استثمار إمكانات التحليل السيميولوجي<sup>(15)</sup>، لأجل هذا استلهمت هذه المنظومة الأدوات النظرية والتحليلية من المقاربة البنيوية وما بعد البنيوية.

وهنا، يجب على محلل الخطاب أن يقارب بإجراءاته النظرية والتطبيقية - بتعمق - النصوص دراسة وتحليلاً وتفكيكاً لهذه الخطابات، لأن « مهمة دراستها تقع على "تحليل الخطاب"؛ بكل ما يحمل من منظور: تداولي، لغوي، نحوي، وظيفي، سيميولوجي... مما يعني الاقتراب من الخطاب ذاته بوصفه موضوعاً خارجياً، بافتراض وجود فاعل منتج تكون له علاقة حوارية مع متلقٍ مثقف، وكلها تتجسد في خطاب متعدد الجوانب والدلالات له كل السلطة في الاحتفاظ بذاكرته، وبقصديته»<sup>(16)</sup>.

و من جهة أخرى، كلما توافرت معلومات أو مخزون ثقافي واجتماعي لدى المتلقي، كانت له حظوظ وافرة في فهم وتأويل هذه الخطابات مع وضعها في سياق معين من أجل أن تكون لديها قصدية على نحو ما ذهب إليه (براون ويول Gillian Brown and George Yule) «إن محلل الخطاب، يعالج مادته اللغوية بوصفها مدونة (نصاً) لعملية حركية استعملت فيها اللغة كأداة توصيلية في سياق معين من قبل متكلم أو كاتب للتعبير عن معانٍ وتحقيق مقاصد (الخطاب). وانطلاقاً من هذه المادة، يسعى المحلل إلى وصف مظاهر الاطراد في الإحداثيات اللغوية التي يستعملها الناس لإيصال تلك المعاني والمقاصد»<sup>(23)</sup>.

لأن الناس في تواصلهم الخطابية وتبادلاتهم اللسانية - في الغالب الأعم - تقع لديهم افتراضات مسبقة نحو: ما القصدية من خطابك؟ ماذا يعني كلامك؟، لذلك وجب على طرفي الخطاب تحديد المقاصد من اللغة الواصفة: الألفاظ، العبارات، المفاهيم مسبقاً؛ حتى تتضح الغايات و يرتبط القصد بالعلامة عند التوظيف والاستعمال لينجح منتج الخطاب بالرغم من أن وظيفة اللسان هي التواصل<sup>(24)</sup>.

و في ضوء غالبية هذه الاعتبارات الإجرائية التي تحملنا على التقاطع المعرفي بين الحقلين على مستوى اللغة في إطارها التداولي هو الخطاب ومنتجه بالمفهوم البراغمي القصدية منه التواصل مع المخاطب، حيث لا يكون النص خطاباً إلا باعتباره ممارسة لغوية تواصلية، ينضوي على كل عناصر وأغراض عملية التخاطب.

أما في شأن ما أضافته التداولية الى حقل تحليل الخطاب، فتمثل في تبيان (أوستين Austin) لدور و وظيفة اللغة التي لا تنحصر فقط في نقل الأخبار، أو في وصف الوقائع، أو في تبليغ المعلومات إلى المخاطب عبر طريق العلامات الصوتية من قبل المتكلم؛ فهناك في اللغة أفعال تنجز أو تحقق ما تحمله من المعاني بمجرد التلطف بها<sup>(25)</sup>.

و ضمن سياق اللغة، يظهر لنا بأنّ الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأنّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه و به، فليست وظائف مجردة من السياق، لأنّ الكلام يُنتج في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز<sup>(26)</sup>. ومؤدى هذا الأمر، أنّ أهم ما يركز عليه الدرس اللغوي التداولي هو الآتي:

بالحمولات والموجهات الخطابية واللسانية للغة بغرض توظيفها واستعمالها لنشر الأفكار، مما أهلها هذه الوظيفة التداولية للغة وجعلتها تكتسب سلطة قوية فعالة.

وعلى هذا الأساس، لا توظف لغة النصوص الأدبية بشكل عشوائي وفوضوي؛ لأنها تزخر بقدرات انجازيه مشحونة بالكثير من الدلالات السياقية والتداولية والحجاجية القصدية منها الإقناع والتأثير. فكل ما في النص يدل ويحيل ويحمل وظائف سياقية متنوعة، سواء أكانت نصية داخلية أم مقامية خارجية<sup>(20)</sup> والضابط الذي يتحكم في الخطابات والذي يستأنس على ضوئه محلل الخطاب هو اللغة التفاعلية المستعملة لنقل المعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال والمقامات، لأنّ «تحليل الخطاب بالضرورة تحليل للغة في الاستعمال. لذلك، لا يمكن أن يحد في الوصف المجرد للأشكال اللغوية بعيداً عن الأغراض أو الوظائف التي وضعت هذه الأشكال لتحقيقها بين الناس. وإذا كان بعض اللسانيين محتمين بتحديد الخصائص الشكلية للغة، فإنّ محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله»<sup>(21)</sup>؛ وإذا ما سلّمنا جدلاً بأنّ الخطاب سواء أكان منطوقاً، أو مقروء، أو مسموعاً، يكرس ممارسة لغوية، ولا يمكن تصور إنتاجه أو فهمه إلا بواسطة اللغة التي تشكله. كذلك اللغة لا يتم إنتاجها وتداولها من اللاموجود، بل في سياق متعلق بتلك الوقائع.

ونظراً لعدم ضبط هذه الإستراتيجية بسبب ما يحمله الخطاب من معانٍ ودلالات متنوعة؛ فلا توجد إستراتيجية واحدة ضابطة لفهم الخطاب وتحليله، فالخطاب الواحد يحتمل أكثر من قراءة، وأكثر من تأويل. وكلّ قارئ الحق في التعبير عن وجهة نظره وطريقته في فهم الخطاب وتفسيره بحكم مرجعياتهم اللغوية والفكرية، حيث «يتفاوت المتكلمون في أساليبهم و أدائهم اللغوي - البلاغي حتى يتفوق بعضهم في الأداء و التعبير عن المعنى الواحد عن مستوى غيره، وقد يميز الأسلوب دون تفوق أو تدن، بل لمجرد اختلاف وخاصة في الأسلوب»<sup>(22)</sup>، وهذا التفاوت في استقبال وتلقي الخطاب حسب أشكاله كأن توظف الحواس نحو السمع والبصر، أو في صورته الكلامية. وهنا، ينبغي أن يراعى منتج الخطاب حتى يضمن الرسالة التواصلية بينه وبين المتلقي ولا يحكم عليه بالإخفاق والفشل. لذلك نربط على - وجه العموم - نجاح الملفوظ أو إخفاقه على اللغة التي تصاغ في قوالب الملفوظات ضمن طبقة مقامية مؤسّسة على منتج الخطاب ومنتقيه وفق ما يفرضه المقام وظروف الإنتاج.

وأفعال الكلام داخل اللغة في آن معاً، وهذا ما تركز عليه التداولية في كونها تدرس المعنى مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعملها والسياق أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة أو بالتركيب<sup>(29)</sup>.

وبالإجمال، فإنّ اللغة الواصفة في الخطاب تشكل محطة مركزية تؤسس لنا نشاطاً بجميع أشكاله ومضامينه للمجموعة اللسانية المرتبطة بالسياقات والطبقات المقامية المختلفة، والقصدية من توظيفها في الخطاب بصورة عامة تتجلى في إنتاج الخطابات وتأويله وتفسير ظروف إنتاجه.

لأن وظيفة اللغة من منظور تداولي منظومة متكاملة للتعلم والتداول والتواصل بين المجموعة البشرية، لذا وجب على « الخطاب إلقاء الضوء على كيفية تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع المرسل من خلالها أن يعبر عن مقاصده ويحقق أهدافه؛ مما يبرز العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها. مركزاً على اقتناص المرسل لفرصة استثمار كافة المستويات اللغوية، مثل المستوى الفنولوجي، بتوظيف التنغيم، والنظام التركيبي، وانجاز الأفعال اللغوية<sup>(30)</sup> »؛ حيث تنضوي هذه المستويات ضمن استراتيجيات عامة في تحليل الخطاب مؤسسة بذلك الوظائف الاجتماعية للغة، باعتبارها أكبر مؤسسة للتعلم والتواصل بين أفراد المجتمع، وهي بهذا الاستعمال تقوم بتأدية مجموعة سلسلة منسجمة ومتكاملة من الوظائف والعلاقات المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها من جهة، والتعبير عن المقاصد وبلوغ الأهداف بين منتج الخطاب ومتلقيه من جهة أخرى.

و مادامت اللغة نشاطاً سوسيو لسانياً، يميز لسان كل فرد من أفراد الجماعة اللسانية التي تحدد دلالات اللغة المستعملة وبهذه الدلالات والتأويلات يقع التواصل بين هذه الجماعة، فكل واحد منها يكتسبها بالممارسة والاستعمال ثم يترجمها عبر قنوات خطافية إلى غيره من أجل التواصل والتفاهم.

و هذا النشاط، يتم بواسطة اللغة المكتوبة أو المنطوقة، لأن أهميتها الفعالة تكمن في تنظيم عملية التواصل وبيان نوعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية والنفسية والدينية والثقافية بين المنتج والمتلقي بغرض نقل المعلومات والأفكار والخبرات.

ووفق هذا التقدير، تكون اللغة عند منتج الخطاب صورية الشكل ثابتة الأدلة وقت الاستعمال ضمن استراتيجيات الخطاب والتخاطب تمتاز بالفاعلية والحركة والديمومة على نحو ما أقرته (ذهبية حمو الحاج)؛ حيث يمكن تحديد آليات تحويل اللغة انطلاقاً من المتكلم من خلال علامات وأدلة خاصة،

الاهتمام بالتأثير والتأثير في الخطاب التاشئ من وظيفة الكلام الموجه وقت التلطف، آخذة معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية من بينها الظروف المكانية والزمانية، ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الأطراف.

والتداولية لا تعد للألفاظ أو العبارات فائدة إن تجردت من سياقها، لأنّ عناية اللسانيين باللغة نظاماً « تقتضي إهمال اللغة استعمالاً وانجازاً وكأنّ هذا النظام الذي يبحث فيه الدارسون ليس نظام الكلام المستعمل. فقد رأى التداوليون أنّ دراسة النظام اللغوي باعتماد البنى المجردة قد غيب جوهر اللغة ألا وهو تشكّلها ضمن أقوال منجزة في إطار عملية التخاطب<sup>(27)</sup>؛ إذ لا بد من دراسة هذه الألفاظ والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، رابطة الظروف المؤسسة لها وفق زمان ومكان التخاطب كي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب مع مراعاة نوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار.

و تأسيساً على ما تقدّم، يحاول الدرس اللغوي التداولي الإجابة عن مجموعة إشكالات استهدفت اللغة بوجه عام نحو:

ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من المتكلم؟ من المتلقي؟ ولأجل من نتوجه بالخطاب؟ وهل يمكن أن نصنع إلى المعنى الحرفي أو المعنى التواصلية لقصد ما؟<sup>(28)</sup>

و عليه، فإن التداولية تُعدّ محطة إستراتيجية في كونها إجرائية على المستوى النظري والتطبيقي في آن معاً تتمكن بواسطتها من تحليل الخطاب انطلاقاً من اللغة المستعملة؛ لأنها تركز على البعد العملي للمعنى أي معنى التواصل والتبليغ والمحاورة بين أطراف الكلام، وتسعى للتداوليات جاهدة بحكم كونها لسانيات ذات اهتمامات وظيفية على وصف فعل التواصل وتفسيره معتمدة في ذلك مجموعة من المبادئ والمفاهيم الوصفية، كبدل التعاون ومبدأ الاحترام، وغيرها من المبادئ التي تضبط التواصل بين المتكلمين في إطار التواصل الكلامي و ما يحمله من مقامات.

على هذا النحو، تعد المقاربة التداولية منهجية وأرضية بواسطتها تتمكن من دراسة الجوانب الوظيفية والتداولية والسياقية للخطاب، مع تبيان طبيعة العلاقات المتفاعلة بين المتكلم والمخاطب مع التركيز على البعد الحجاجي والإقناعي

leurs effets". Charaudeau (Patrick), Maingueneau (Dominique) : *Dictionnaire d'analyse du discours, éditions du seuil, Février 2002, p 454.*

*morphonology or morphophonology* - المورفونولوجية \*\* أو علم الأصوات الصرفية، أول من وضع *orphophonemics* أو علم الأصوات الصرفية، وهو فرع من اللسانيات يبحث في مجالات استخدام وسائل التصويت في تصريف الكلام واشتقاقه؛ أي دراسة (أصغر وحدة للصوت *phoneme* أصوات الكلام وارتباط كل فونيمه ويكيبيديا، ينظر: الموسوعة الحرة) التي لها معنى محدد <https://ar.wikipedia.org/>

10 - صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والتحو، مكتبة الآداب، ط1، (د.ت)، ص: 187.

11 - Françoise (Armengaud) : *La Pragmatique, PUF, 4ème édition, 1999, p: 03.*

12-12 Martinet (André): *Eléments de linguistique générale, Armand Colin: Paris, 1980, p: 09.*

13 - ينظر: أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة وتعليق: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص: 11.

14 - ينظر: بيار أشار: سوسولوجيا اللغة، تعريب: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص: 21.

15 - ينظر: فرحان بدري الحربي: الأسلوبية في التقدير العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- والتوزيع، لبنان، ط1، 2000، ص: 48.

16- نعيمة سعدية: تحليل الخطاب و الإجراء العربي - قراءة في القراءة - ، أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، الجزائر، عدد خاص، 2011، ص: 16.

17- ينظر: محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، ط2، طبعة مزيدة ومنقحة، 2007، ص: 151.

18- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 214.

19- ينظر: يميني العيد: في القول الشعري، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص: 12.

20- جميل حمداوي: لتداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المتكف، ط1، 2015، ص: 15.

21- ج.ب براون و ج. يول: تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطي و منير التريكي، النشر- العلمي والمطابع، الرياض، 1418هـ/1997م، ص: 01.

22 - أحمد شامية : في اللغة (دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية )، دار البلاغ للنشر- والتوزيع، ط1، الجزائر، 2002، ص: 111 .

23- ج.ب براون و ج. يول: تحليل الخطاب، (م.س)، ص: 33.

فتحصيل اللغة واستعمالها يتأهيان في حال الخطاب الذي يصادف الحديث في ظروف زمكانية، وكل حديث هو مخاطب يفترض ويستلزم الطرف الآخر المستهدف من الخطاب.<sup>(31)</sup>

ومهما يكن من أمر؛ فإن التداولية كمنهج إجرائي للتحليل يتأسس على مجموعة طرائق تكاد تكون محكمة ومرتكزات نظرية وتطبيقية مضبوطة في الغالب الأعم، يجب أن يتعرف إليها محلل الخطاب وفق منهجيتها المدعومة والمصلا بمختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية حتى يتمكن من بعث القوة والفاعلية للقراءة والتفسير والتأويل، وخاصة حينما يتعلق الأمر باللغة التي تكسر معايير التقييد، لأن اليوم صارت علاقة الإنسان بها كينونة وجوده الفعلي سواء أكانت متصلة بعقله أو بقلبه، وإن شئنا القول للغة ترجمة ناطقة لمعارفه وفكره وسلوكاته .

### الهوامش والإحالات:

1 - Maingueneau (Dominique) : *Pragmatique pour le discours littéraire, Collection : (Lettres Sup) Dunod, Paris, DL 1997, p: 1.*

2- محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002، ص: 11.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.

4 - عبد المالك مرتاض: مفاهيم سيميائية، "سيميائيات"، مجلة دورية محكمة تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، ع2، خريف 2006، ص: 10.

5 - طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص: 27 .

\* - جاء في اللسان قوله: تداولنا الأمر: أخذناه بالذول. فقالوا: ذواليك؛ أي مداولة على الأمر أي تداولاً بعد تداول. ودالت الأيام؛ أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي؛ أي أخذته هذه مرّة، وهذه مرّة. والماشي يداول بين قدميه؛ أي يراوح بينها. الذؤلة والذؤلة الغمبة في المال والحزب سواء وقيل الذؤلة بالضم في المال والذؤلة بالفتح في الحرب وقيل هما سواء فيها يضمان ويفتحة. يقال صار الفيء ذؤلة بينهم يتداولونه مرّة لهذا ومرّة لهذا والجمع ذؤلات وذؤل. الذؤلة اسم الشيء الذي يُداول والذؤلة الفعل والانتقال من حال إلى حال. " ينظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، (د.ت): مادة: (ذول) ."

6 - ينظر: طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 2005، ص: 244.

7- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، الرباط، 1989، ص: 35.

8 - عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 93.

9 - "la pragmatique, qui s'intéresse aux relations des signes avec leurs utilisateurs, à leur emploi et

- 24- ينظر: يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014، ص: 193 .
- 25 - ينظر: حسن مصطفى مخلول: نظريات القراءة و التأويل الأدبي وقضاياها، مكتبة الأسد، دمشق، 2001، ص: 11.
- 26 - عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص: 23.
- 27 - نرجس باديس: المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر- الجامعي، تونس، ط1، 2009، ص: 19.
- 28 - ينظر: أرمينكو فرانسواز: المقاربة التداولية، (م.س)، ص: 07.
- 29- جميل حمداوي: التداولية وتحليل الخطاب، (م.س)، ص 07.
- 30- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، (م.س)، ص: 38.
- 31- ذهبية سمو الحاج: لسانيات التللفظ وتداولية الخاطب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2005، ص: 141.